يجلس جلس على مسورة واستند الى اخري وزرابي وبسط عراض فاخرة
وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة
او متفرقة في المجالس فلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت
خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهد ابتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن
قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعاز ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض
الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها فتفكر
ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفنا عن
البر صيرها على احتمال العطش حتى ان اظمأها لتنزع الى العشر فصاعدا
وجعلها ترعى كل شئ نابت في البر اري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم
وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال ارتد
الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت والى السماء
كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فان
قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة
قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم
فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يبدع من زعم ان الابل التفات
الى قوله الاطلب المناسبة ولعله لم ير دان الابل من اسماء السحاب كالغمام
والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وربما راى السحاب مشبها
بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه
والمجاز كيف رفعت رفعا بديع المدى بلا امساك وتغير عمد وكيف
نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا
بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرئ علي رضي الله عنه خلقت
ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير
فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد
والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق
حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به
ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون نظر تذكر وتدبر فلا تلم عليهم ولا تهتم لانهم
لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست
عليهم بمسيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هي لغة
تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر بدل عليه
الا من تولى استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم
وكفر فان لله الولاية والقهر فيعذبه الله فهو يعذبه العذاب الاكبر
الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر
الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ان الينا ايابهم
ثم ان علينا حسابهم وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان
يكون فيعالا مصدرا بمعنى الاياب وان يكون اصله اوابا فعالا
من اوب ثم قيل ايابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بأصل
سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه
التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام

Copyright